خامسا: جمع المادة العلمية وطرق تنظيمها (القراءة/التدوين/الصياغة):

عملية الجمع أدق مراحل البحث أو هي المرحلة الجادة التي تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت وهذه الخطوة أو المرحلة تتزامن مع مرحلة إعداد خطة البحث إلاّ أنها تتسم بالبحث المعمق والإطلاع الموسع، والتفتيش المستمر عن المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث.

حيث تتعدد في البحوث العلمية طرائق جمع المعلومات، وتختلف لدى بيئة الباحثين، ولكنهم ينطلقون جميعا من حيث انتهى السابقون، فينهلون من مكتبة البحث الثرية؛ لذلك كان من أوكد الواجبات أن يطّلع الباحث على ما سبق من بحوث، وأن يجمع ما يمكن جمعه من المصادر والمراجع التي يعتمد عليها في بحثه، ويسجل عنها بعض المعلومات في دفتر خاص، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا ارتاد المكتبات العامة، والمكتبات الجامعية، وسأل الخاصة من الأساتذة والطلبة عن المؤلفات الهامة بالنسبة إلى بحثه.

وجمع المصادر والمراجع فن يرتبط **بالقراءة** والسماع وهي أول صور جمع المعلومات، حيث يشرع الطالب في القراءة الواعية، ويبدأ بأقدم كتاب في الموضوع، أو أقرب كتاب له، وهذا بعد قراءة المصدر، ويستحسن أن نفصل في هذا العنصر لأنه اللبنة الأولى في تنظيم المادة العلمية.

أ/ القراءة:

قد يظن بعض الباحثين أن **القراءة** عملية سهلة مادامت الخطة موضوعة ،والمصادر قد أعدت، وعناصر البحث وعناوينه قد وزعت، وعلى العكس من ذلك ،فالقراءة فن لا يتقنه كل الأفراد، لها أسلوبها، وخطواتها، ومراحلها.

وإذا عرف الباحث ما يقرأ –وما يسمع–[101]، وكيف يقرأ سهلت عليه هذه المرحلة واستطاع أن يتم بحثه في المدة المحددة للانتهاء منه، فمن الباحثين **يقرأ وقصده معرفة محتوى الأنموذج المقروء**، والإحاطة بما يتضمنه هذا الكتاب من معان وأفكار أو

معلومات جديدة دون الاهتمام بالشكل أو الالتفاف إلى نوعية نظم القوالب وطريقتها التي أدت ونقلت هذه المعاني والأفكار"[102] كما قال الأقدمون **كابن رشيق في العمدة** مثلا، فعدم الْتفاف القارئ للألفاظ وشكلها وإيقاع أصواتها، وأسلوب صياغتها تجعل نسبة المستقر منها قليلا في ذاكرته...، وهناك من جانب آخر **من يقرأ كحاطب ليل** يمرّ بموضوعه مرورا عابرا عَجِلاً، إما لضيق وقته أو لعادة في القراءة ألفها، أو لعدم اكتراث كبير بما يقرأ...، كما أن هناك من **يقرأ ضجرا متململا** إما لضحالة ثقافته أو لعجز لغته أو لقلة إدراكه وفهمه أو لغموض وتعقيد في أسلوب ما يقرأ، أو لعدم وجود حافز يدفعه أو يشده لموضوعه كأنه مجبر على قراءة ما يقرأ....[103].

غير أن الباحث لو تعلم **فن القراءة (كيف يقرأ)** عرف قيمة كل مصدر أو مرجع لأنه "لا نزاع في أن الكتابة كريشة الرسام، إن أمسك بها قليل المران، اضطربت وأحدثت خللا، وإن تناولها الماهر المتمرن أبدعت، وأخرجت ما ينطق بالحسن والجمال، وكذلك الكتاب يقرأه شخص آخر، فيتمرد منه علما وأسلوبا ومنهجا"[104]، وعلى الباحث إتباع الاقتراحات والتوجيهات الآتية:

1- **القراءة (الفهرسية)** السريعة لاكتشاف ما يتصل بموضوع بحثه واختيار المصادر والمراجع –قبل القراءة التعمقية والتخصصية لكي لا يدخل في متاهات الكتب ويضيع وقته وجهده بتفريق عمله على كل الكتب الموجودة–، حيث أن للقراءة أنواعا:

* **القراءة الفهرسية السريعة:** يسجل خلالها الباحث عناوين الكتب ذات العلاقة بالموضوع تتبع بقراءة تمهيدية لتعرف قيمتها في بحثه.

* **القراءة العادية:** وذلك للموضوعات المعنية في الكتب المختارة سابقا، حيث يستخلص الباحث منها الاقتباس والأفكار ويدونها في البطاقات أو الدوسيه.

***القراءة العميقة:** هي التي تنصب حول بعض المراجع التي ترتبط بالموضوع ارتباطا مباشرا(م .الأساسية)، فهي التفحص المتكرر والمتمعن للمعلومات[105].

2- حصر القراءة في هذه الفترة على المراجع والمصادر المتصلة بموضوع البحث مع عدم الاستطراد في قراءة أمور لا تتصل بموضوعه من المصدر الذي بين يديه.

3-تنظيم **أوقات النشاط الذهني** ليتسنى له فهم ما يقرأ، فلا يقرأ مثلا وهو مجهد ذهنيا، وجسميا،وقد أشار إلى هذا بشر بن المعتمر البغدادي(ت210 ه) في صحيفته المشهورة حول مراعاة الجانب النفسي في الكتابة تصريحا والقراءة ضمنا، يقول: " خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ،وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع ،وأحلى في الصدور...واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة"[106].

4- لابد أن يكون منظما في قراءته، ولا يؤجل إبداء رأي أو نقد مهما كان بسيطا فإنه قد ينفعه في مرحلة الصياغة والتحرير-لذا أضفت خانة **الملاحظة** في البطاقة كخلاصة لتجربة بحثية شخصية-.

5- قراءة الأبحاث **الجديدة** التي تنشر بالمجلات المحكمة، لأنها تفتح لك آفاقا للبحث، والاعتماد على الفهارس الحديثة في المكتبات ودور الكتب، والاستفادة من تطبيقات **الإعلام الآلي**.

ب/ التدوين:

إذا فرغ الطالب من إعداد خطة مشروع البحث ووفقه الله لقراءة المصادر والمراجع اللازمة لبحثه، وانتهى من تبويبها وترتيبها حسب أولوياتها بالنسبة لفصول البحث يبدأ في خطوة **التدوين من المراجع وتسجيل مادة البحث منها**، وعلى الباحث في هذه المرحلة أن يرجع إلى المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع، ويقرأ ما فيها من موضوعات متعلقة ببحثه، ثم يقوم بتدوينها بنقل الموضوع نقلا حرفيا كاملا، أو بنقله مختصرا بتلخيصه أو تلخيص أفكاره بأسلوب الباحث[107]، وأفضل كباحثة في هذه المرحلة أن يحتفظ بالمقولات حرفية أثناء التدوين الأولى في البطاقات وحتى الدوسيه، لكي لا

تختلط المقولات الحرفية بالتلخيصية لاحقا، إذ لابد من تحري الأمانة في النقل دون زيادة أو نقصان.

كما على الباحث أن **يجمع ويدون** من المادة العلمية كل ما اتصل بموضوعه من قريب أو بعيد، ولا يتهاون في نقل شيء من ذلك كما قال صاحب كتاب **كيف تكتب بحثا أو رسالة** أحمد شلبي: "وليتذكر أن من السهل أن يُسقط من المادة ما يظهر في المستقبل أنه عديم الفائدة أو قليلها، أما إذا ترك بعض المادة ثم تذكرها فيما بعد، وظهر له لزومها، فإن وقتا ثمينا قد يبذل رجاء العثور عليها، وقد تنجح المحاولة، وقد تفشل."[108]

ولتدوين المادة العلمية عدة طرق تهدف جميعا إلى تيسير مهمة الباحث عند كتابة البحث في صورته النهائية:

1) نظام البطاقات أو الجذاذات: عبارة عن مجموعة أوراق من نوع الورق السميك المقوى المتساوية الحجم، ويحدد بعض الباحثين مساحتها (10سم×15سم)، وتستعمل هذه البطاقات ليدون عليها الباحث عند قراءته للمراجع والمصادر ملاحظته واقتباساته، والنصوص التي يحتاج إليها في بحثه. وغالبا ما يشترط في هذه البطاقات أن تكون من حجم واحد بينما يرى بعض الباحثين أن تتفاوت في الحجم ليُخصص لكل باب أو فصل حجم معين، وكذلك اللون فيُقترح أن تكون متعددة الألوان بحسب الفصل ليوفر الباحث الجهد والوقت في فرزها وتلك مسألة يحددها ويقررها الطالب بنفسه. المهم أن لا يُكتب في كل قراءة بطاقة إلا اقتباس واحد، وعلى وجه واحد منها.

رقم البطاقة: عنوان الفكرة (أو الفصل):
عنوان الكتاب واسم الكاتب: الجزء، الطبعة، الصفحة:
النص المقتبس: "..... ...."
ملاحظة:

أما بالنسبة لآخر عنصر في البطاقة وهو **الملاحظة** فإذا "لاحظ الطالب الباحث شيئا أو ظهر له تعليق، أو خطر له نقدا، فلا يؤجله، بل يكتبه بلون مغاير في هامش البطاقة لأن الباحثين المتمرسين يفيدوننا بأن التعليقات ينساها الباحث إذا لم يدونها، وقد يجد بعضها في كتب لاحقة"[109]، وحين ينتهي الطالب الباحث من قراءة كتاب، تتكون لديه مجموعة من البطاقات، فيضعها في **أظرف ملونة** في مكان صالح لها، بعيدة عن الأيدي. ثم ينتقل إلى الكتاب الثاني، فالثالث، وهكذا حتى ينتهي من قراءة جميع المصادر والمراجع التي لها علاقة ببحثه.

2) **نظام الملفات(الدوسيه):** عبارة عن غلاف من الورق المقوى بداخله قابضان أو ماسكتان تفتحان وتغلقان بسهولة، ويوضع بداخله مجموعة كبيرة من الأوراق المثقوبة من طرفيها لتثبت داخل المقبض.

ويقسم الباحث عادة الدوسيه على **حسب خطة البحث**، فيخصص جزءا للمقدمة، وآخر للخاتمة، وما بينهما يقسم حسب فصول البحث، ويخصص القسم الأخير من الدوسيه للمراجع والمصادر كلما امتلأت الأوراق المخصصة لكل جزء يفتح الدوسيه ويضيف المزيد من الأوراق، وهذه الميزة يمتاز بها الدوسيه عن الكراسات وما شابهها...، ويبدأ الطالب قراءته وكلما عثر على نقطة تتعلق بموضوعه كتبها في القسم الخاص من الدوسيه، ويكتب على **وجه واحد** للورقة، كما لا يكتب على الصفحة الواحدة إلا معلومات متصلة تمام الاتصال تاركا بياضا بين فقرة وأخرى ليتمكن من تسجيل كل إضافة وتعليق –وهناك من يضيف ورقة مقوى ملونة تفصل الفصول (لسان ورقي) يكتب عليه عنوان الفصل–.

يفضل **المحدثون من الباحثين** استعمال هذا الدوسيه ، ويرون أنه أفضل من نظام البطاقات لأسباب منها[110]:

– يسيطر الطالب على موضوعه عند استعمال الدوسيه أكثر مما يسيطر عليه وهو في

بطاقات وأظرف.

– الدوسيه يحفظ ما به من أوراق أما البطاقات فقد يفقد بعضها.

– إذا أراد الطالب أن يراجع اقتباسا ليضيف إليه أو يعلق عليه كان من السهل أن يجده بالدوسيه ،وذلك في القسم الخاص به، أما البطاقات فيضيع جهدا كبيرا في فرز البطاقات للوصول إليه.

– كثيرا ما يقابل الطالب أثناء قراءته للمادة العلمية نقطة معينة ثم يتشكك فيما إذا كان قد سجلها من قبل أم لا، ففي حالة الدوسيه يمكن التحقق من ذلك دون عناء لأنه يحمله بما فيه من مادة فضلا عن سهولة الكشف عن هذه المقولات عكس البطاقات التي قد لا تحمل معه أصلا.

– كما أن الطالب إذا عزم على تحرير موضوع بحثه(التحرير الأول أو المسودة) كما عبر عنها محمد خان يحرر جملا وفقرات تحت عناوين مناسبة باعتماد على بطاقات القسم الأول فالثاني فالثالث... فهو يرجع إلى نظام يشبه الدوسيه في النهاية.[111]

وإذا كانت المدرسة الحديثة تفضل الدوسيه، **فالمدرسة القديمة** لها حججها في تفضيل البطاقات، وهي: [112]

– البطاقات أكثر دقة وأيسر في التصنيف وأدوم في إمكانية الرجوع إليها.

– وأيضا يمكن الاستفادة منها في مجال آخر عند اللزوم.

– تمكننا من جمع أكبر عدد من الآراء حول الفكرة الواحدة.

– يسهل وضع وجهات نظر أخرى للفكرة من جهة الباحث.

– معرفة مصدر كل فكرة، وكل رأي حيث يمكن للباحث أن يرجع إلى هذا الكتاب للتثبت بسهولة...، وهذه المسائل ترجع للباحث ويستطيع أن يقرر بعد **التجربة** الطريقة الأيسر والأنجح.